

السيرة الغيرية في رواية قلب في أقصى اليسار لسليم عبادو

The Other biography in the Novel Heart on the Far Left by salim Abbadou.

سلمى أوكسل

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، selmaselmamaster@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/05/13

تاريخ الاستلام: 2025/03/04

ملخص: تعد الرواية جنسا أدبيا مفتوحا على كل إمكانيات التجديد ولأن هذا الانفتاح هو حاجة حضارية قبل أن يكون ضرورة علمية، فقد مدت جسور التلاقي مع الأجناس الأدبية والحقول المعرفية بمختلف تفرعاتها، وكانت السيرة الغيرية في مقدمة هذه الأجناس، وهي ترجمة لحياة شخص ما على لسان شخص آخر يعرض الأحداث التي عاشها وظروف حياته ويكشف سر تميزه الذي أهله لأن يكون موضع دراسة وبحث. إن التمازج بين السيرة الغيرية والرواية أنتج لنا كتابة سردية مهجنة تعرف برواية السيرة الغيرية، وقد جمعت بين السيرة بصورتها الواقعية ومرجعياتها التاريخية، والرواية بصورتها الخيالية الفنية ووقائعها النصية، وتندرج رواية قلب في أقصى اليسار لسليم عبادو ضمن هذا النوع الغيري، وهي رواية تخيلية تعكس جزءا من حياة شخصية جزائرية جمعت في نضالها بين قوة الكلمة والسلاح، لذلك تسعى دراستنا إلى إبراز أهم سمات رواية السيرة الغيرية من خلال الرواية موضع دراستنا والتي تقاطع فيها الواقعي مع التخيلي.

كلمات مفتاحية: السيرة الغيرية، رواية السيرة الغيرية، الواقعي، المتخيل، الميثاق.

Abstract: The novel is a literary genre open to all possibilities of renewal, it has built bridges of convergence with literary in their various branches. The biography of others was at the forefront of these genres. It is a translation of a person's life in the language of another person, The blending of the autobiography and the novel produced for us a hybrid narrative writing known as the autobiographical novel, The novel Heart on the Far Left by Salim Abbadou falls within this autobiographical genre, and it is a novel that reflects part of the life of an Algerian historical Therefore, our study seeks to highlight the most important features of the autobiographical novel through the novel that is the subject of our study.

Keywords: other biography; other biography Novel; realism; the imaginary; the charter.

1. مقدمة:

تتصدر الرواية الأجناس الأدبية وذلك راجع لخاصية المرونة التي تتميز بها ما جعلها ترفض الاستقرار والثبات ولا تعترف إلا بالإبداع شكلا ومضمونا، لذلك فهي تتخذ لنفسها ألف وجه وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، وهي كما ذكر ميخائيل باختين الجنس الأدبي الذي لم يكتمل بعد، أو كما عبر عنها ماريو فارغاس يوسا بأنها جنس مفترس، لذلك مدت جسورها نحو حقول إبداعية كثيرة من بينها السيرة الغيرية.

والتلاحم بين السيرة والرواية أنتج لنا جنسا أدبيا مهجنا هو رواية السيرة الغيرية، التي جمعت بين السيرة بصورتها الواقعية ومرجعياتها التاريخية، والرواية بصورتها الخيالية الفنية ووقائعها النصية، تندرج رواية قلب في أقصى اليسار إلى هذا النوع الغيري، إذ يجتمع فيها التاريخي والمتخيل لتكوين نص واحد ينتمي إلى الجنس الأدبي، وهو ما يضعنا أمام الإشكالية الرئيسية: ما هي تجليات السيرة الغيرية في رواية قلب في أقصى اليسار لسليم عبادو؟ هذا ما سنحاول تتبعه من خلال المحاور التالية: في مفهوم السيرة وأنواعها، محددات الشخصية المرجعية، الميثاق الروائي والميثاق المرجعي.

2. في مفهوم السيرة وأنواعها.

1.2 السيرة الذاتية:

تعرف السيرة في الاصطلاح على أنها "بحث يقدم فيه الباحث حياته أو حياة أحد الأعلام المشهورين، ويبرز فيها المنجزات التي تحققت في حياته أو حياة المتحدث عنه."¹ فالسيرة إذن تتخذ من حياة الإنسان موضوعا لها، فتسجل التجارب وترصد الحقائق والمشاعر في لحظات الكتابة، لتسرد حياة شخصية محورية تكشف بعضا من معلوماته الشخصية

وخصائصه العلمية والعقلية، وتعرض لمواهبه وسر تميزه الذي جعل منه شخصية بارزة بما في ذلك الشواهد والآثار من حياته أعمالاً وأقوالاً ونميز نوعين من السيرة الذاتية والغيري: السيرة الذاتية في أدق تعريفاتها كما عرفها فيليب لوجون: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة."² ويكون فيليب لوجون بذلك قد وضع الخطوط العريضة للسيرة الذاتية كجنس أدبي قائم بذاته من خلال على محاور أربعة:

1- شكل اللغة: أ- حكي، ب- نثري.

2- الموضوع المطروق: حياة فردية، تاريخ شخصية معينة.

3- وضعية المؤلف: تطابق المؤلف (الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد.

4- وضعية السارد: أ- تطابق السارد والشخصية الرئيسية، ب- منظور استعادي للحكي.³

فالسيرة الذاتية شكل من الأشكال النثرية القصصية تشتغل فيها تقنية الاستدكار أو الحكي الاستعادي، فيكتبها صاحبها بذاته وهو يسرد تاريخه الخاص فيسترجع تاريخه الحافل بالأحداث والوقائع والخبرات الخصبة المتعددة والمتنوعة، ولعل تعريف فيليب لوجون هو أكثر المفاهيم شمولية وإحاطة بهذا الجنس الأدبي.

2.2 السيرة الغيرية:

وهي الجنس الأدبي الذي تتم فيه الكتابة عن أحد الشخصيات اللامعة تعرض فيها حياته ومواهبه، فتتناول بالتعريف "حياة رجل أو أكثر تعريفاً يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعاً لثقافة المترجم ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له."⁴

فالسيرة حسب هذا التعريف تتصل "بالكتابة التاريخية بأكثر من سبب، فكانت السيرة محتاج إلى البحث في المصادر المكتوبة والشفوية والتدقيق في الوثائق والنظر إلى الشخصية موضوع السيرة في علاقتها بالمحيط الاجتماعي والسياسي والفكري، والاهتمام بموضعها في المسار التاريخي وأثرها فيه، وقد يؤكد الكاتب التزامه بذلك من خلال ميثاق يعقده مع القارئ في فاتحة النص يمكن أن نسميه ميثاقاً سيرياً بالفرنسية: (pacte Biography)⁵".

والملاحظ على هذه التعاريف أن السيرة الغيرية ينحسر فيها البعد الذاتي لأن المؤلف ليس هو صاحب التجربة، ذلك البعد الذي لفت النقاد إلى السيرة الذاتية "فالسيرة الغيرية تبدو ذاتها بعيدة نسبياً؛ إذ هي ذاتية من خلال وسيط هو مؤلف السيرة المستقل عن شخصيتها أو بطلها، فهي إذن ذاتية من الدرجة الثانية، وليست ذاتية أصيلة كما هو الحال في السيرة الذاتية".⁶ فالسيرة الذاتية يمثلها ضمير الأنا ولا وجود فيها للوسيط لأن ذات الكاتب هي "موضع الاختبار"⁷ أما السيرة الغيرية فيمثلها ضمير الغائب هو لتكون ترجمة لحياة شخص ما ومن ثمة لا يكون مؤلفها هو الشخصية المحورية، بل شخصاً يعرض من خلال نصه حياة غيره من الشخصيات تبعاً لسرد قد يطول أو يقصر، ليتتبع ويستعرض أهم الأحداث المفصلية التي عاشها صاحب السيرة.

3. رواية السيرة الغيرية:

يستعمل النقاد مصطلح السيرة الروائية للدلالة على نوع سردي جديد ينشأ من خلال تمازج الرواية بالسيرة، ويرى عبد الله إبراهيم أنها "كتابة سردية مهجنة من نوعين سرديين معروفين، هما: السيرة والرواية ولا يقصد بالتهجين معنى سلبي، إنما المقصود به التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة وإعادة صوغها وفق قواعد مغايرة، فالسيرة الروائية نوع من السرد الذي يتقابل فيه الراوي والروائي ويندرجان معا في تداخل مستمر ولا نهائي،

يكون الروائي مصدرا لتخيلات الراوي، فالكيان الجسدي والنفسي والذهني يشرح ويعاد تركيبه فالتجربة الذاتية تشحن بالتخييل.⁸

إن هذا التعريف يشير إلى جنس أدبي مهجن ولد من استعارة خصائص كل من الرواية والسيرة على اختلافهما ومن ثم دمجهما، وإذا كانت السمة الأساسية للرواية هي الخيال فإن السيرة مصدرها الأصلي هو الواقع، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن العامل الذاتي الذي يشتغل في السيرة الذاتية والذي يحدث فيه التطابق بين الروائي والراوي هو غائب في السيرة الغيرية، لأن الروائي لا يصوغ تجربته الشخصية إنما يكتب عن حياة الآخرين وبالتالي لا يحدث التطابق.

ويقتضي بنا الحديث عن المادة التي يفترض أن تكون واقعية وحقيقية أنها ما إن تصبح موضوعا للسرد فإنها تفقد بعض مقوماتها حيث "يعاد إنتاجها حسب شروط تختلف عن شروط تكونها قبل أن تتدرج في سياق التشكيل الفني، وعليه لا يمكن الحديث عن مطابقة كاملة بين الوقائع التاريخية المتصلة بسيرة الشخصية الرئيسية في النص، فالوسيط السردى يعيد ترتيب العلاقة بما يوافق العالم المتخيل وهو يختلف عن العالم الواقعي".⁹

يمكننا القول إذن أن هذا الجنس الأدبي الذي يجمع بين السيرة بصورتها الواقعية ومرجعياتها التاريخية، والرواية بصورتها الخيالية الفنية ووقائعها النصية فإنه ينفي عن الهوية السردية الجديدة التطابق مع العالم الخارجي لأن الكاتب سيشغل إمكانات السرد، لتصبح التجارب التي عاشها صاحب السيرة أجزاء مهمة في بناء العالم الروائي التخيلي.

تتدرج رواية قلب في أقصى اليسار إلى هذا النوع الغيري، إذ يجتمع فيها التاريخي والمتخيل لتكوين نص واحد ينتمي إلى الجنس الأدبي، لتعكس لنا جزءا من سيرة شخصية تاريخية جزائرية أدبية تحررية، حاربت على جبهتين بالقلم والسلاح، إنه المسرحي الفدائي محمد

بودية الذي دعم حركات التحرر في كل العالم، ووقر في قلبه الولاء لكل القضايا العادلة الجزائري الذي حير المخابرات الفرنسية، ودوّخ الموساد الإسرائيلي ليلقب بالرجل ذي المائة وجه، روح ثائرة وعقل راجح مدبر لا يجيد العيش إلا وسط الملاحم والبطولات، ليسطر لنا انتصارات مسرحية نضالية بروح فلسطينية وبصمة جزائرية، ويجتمع في شخصه الفن مع الكفاح المسلح، إنه أبو الثورتين الجزائرية والفلسطينية رمز من رموز النضال العالمي.

وسنحاول الكشف عن ملامح السيرة الغيرية في هذه الرواية من خلال ثلاث محددات

هي: الشخصيات المرجعية، الميثاق الروائي، الميثاق المرجعي.

4. تجليات السيرة الغيرية في رواية قلب في أقصى اليسار:

1.4 محددات الشخصيات المرجعية:

الشخصية المرجعية لها وجودها الحقيقي والواقعي في التاريخ قبل الرواية فهي ليست متخيلة أو مصطنعة، كما يمكن القول أن مقدار التخييل يبدو محدودا في رواية السيرة الغيرية فلا يمكنها "التعديل أو التغيير في الوقائع التاريخية الثابتة المتعلقة بالزمنة والأمكنة والشخصيات الرئيسية، بل حريتها في ملء الفراغات والتركيز على الأمور غير المنظورة التي تقدم إضاءات وتحليلات مستوحاة من التفاصيل والأحداث... ونحسب أن كاتب رواية السيرة ليس له أن يحتج بالتخييل فيرى أن الروائي يحق له ما لا يحق لغيره، ذلك أن هذا الحق نسبي مادام يتناول أسماء حقيقية لها تاريخها.¹⁰ فالمساحة التخيلية في رواية السيرة الغيرية مفتوحة وليست مقيدة لكنها نسبية لسد حاجات السرد ولخدمة إمكانات المجال الروائي فحسب.

ومن المتفق عليه أن اختيار شخصية ما لبناء هذا النوع السيري الغيري يخضع لمعايير تجعل الشخصية مؤهلة لأن تستحضر، ولو تساءلنا عن دوافع اختيار سليم عبادو لشخصية محمد بودية انطلاقا من الرواية لتوصلنا إلى عدة نتائج منها:

1- شخصية تاريخية ثورية تقمصت القضايا الواحدة تلو الأخرى وكانت البداية مع وطنه المسلوب منذ مائة عام الجزائر، أين انتقل بعد اندلاع الثورة إلى فرنسا لينضم إلى فدرالية جبهة التحرير ليكون قائد الفرقة الخاصة التي نفذت تفجيرات موربيان يقول "تسللنا بالليل حتى لا يكشف أمرنا وأيضاً حتى لا تكون هناك خسائر بشرية من بين المدنيين العاملين هناك نهاراً وقمنا بتفخيخ خزانات النفط، وكذلك الطريق المؤدي إليها على طول عشرة كيلومترات لإعاقة عملية إطفائها بسرعة".¹¹ ويسجن بعدها في سجن بومات بمرسيليا ليجرى معه التحقيق عن ملابسات التفجير.

2- وكثائر يعاف السجون خطط للفرار من السجن بالتنسيق مع أصدقاء الثورة الجزائرية، بعدما نجح في إقناع مدير السجن على طلب نقله لحبس بومات وقضى فيه بعض الوقت، ليتمكن من الهروب مع رفاقه بعد تسلقه جدار المبنى يقول فرانسيس "كما خططنا سالفاً، سيتصل بك شخصيان فرنسيان من داخل السجن لتسهيل فرارك وكلمة السر هي: الطرد وجوابها: حان وقت إرساله".¹²

3- وكفدائي مناضل يؤمن بالقضايا الوطنية والقومية والإنسانية ولا يعترف بالحدود، وبعد الانقلاب العسكري بقيادة العقيد هواري بومدين وما تلاه من أحداث، قرر العودة إلى باريس نصرته القضية الفلسطينية فمضى يقارع شغفه الثوري بلا هوادة، فكان العقل المدبر لجميع عمليات الجبهة الشعبية في أوروبا بوصفه قائداً للعمليات الخاصة، ومن أعماله توحيد الجماعات اليسارية المناصرة للمضطهدين و للقضايا العادلة وشعارهم فيها الثورة حتى النصر، وجاء الفصل الأخير بعنوان الثورة مرة أخرى-أوروبا والشرق الأوسط-ليسرد بطولات محمد بودية في النضال مع فلسطين ويصور إدارته للعمليات ضد إسرائيل، وهذا ما صرح به

لصديقه بشير" يبدو لي يا رفيق بأنه حان الوقت لتعديل البوصلة فالعدو الشرس الحالي للإنسانية جمعاء، هو الكيان الصهيوني المصطنع المحتل لأرض فلسطين.¹³

4- ومن أبرز عملياته الفدائية ضد الكيان الصهيوني التنسيق مع منظمة أيلول الأسود" لما كان يمكن أن يقدمه من إضافة هنا بفضل شبكاته من أصدقاء الثورة الجزائرية التي تنتشر في كل أوروبا وكذلك أصدقاؤه الجدد من المناوئين للامبريالية العالمية والاستعمار المنتشرين عبر شتى الأقطار.¹⁴

5- وبحنكته الثورية يلجأ إلى التتكر والتمويه والتخفي كلما أحس بالخطر، أو ينشط تحت عدة أسماء مستعارة منها اسم أبو ضياء وهو الاسم الذي اختاره له صديقه وديع حداد" نحن المشاركة لا ننطق اسم بودية هكذا، بل نقول أبو دية فلنجعلها أبو ضياء ويكون هذا اسمك الحركي الذي نتداوله في الاتصال فيما بيننا.¹⁵

6- وهو الملقب بأبو الثورتين الفدائية والمسرحية فسمات الفن كانت الأسبق إلى روحه لذلك اختار المسرح كطريق موازي للكفاح المسلح، يدافع فيه عن المضطهدين لأنه يؤمن بقوة الكلمة في تحرير العقول وإيقاظ الضمائر فكان المسرح رفيقا له في كل ارتحالاته.

7- بعد هذه المسيرة الطويلة تمكن الموساد من تعقبه وتسجيل تحركاته بعد سنوات من الملاحقة، وهو ما قاله تسفي زامير: "هو رجل مسرح يا سيدتي من الجزائر ويعمل ضدنا مدة طويلة، إلكترون حر ينسق أعماله العدائية مع الجميع الجبهة الشعبية، حركة فتح... إنه رأس مدبرة في غاية الدهاء."¹⁶ ليغتال في عملية أطلقت عليها غولدا مائير عملية غضب الرب بعد وضع لغم تحت مقعد سيارته، كان بودية شعلة نابغة من الحرية ونيراسا لا ينطفئ و نموذجا ملهما للصمود والمقاومة في قلب أوروبا وبتوجه يساري، يخترق الاستعمار الفرنسي والكيان الصهيوني بثبات وإيمان بأن الكرامة لا تمنح بل تنتزع.

إن رواية السيرة الغيرية تضع جل اهتمامها على الشخصية المترجم لها بوصفها الشخصية المركزية، أما الشخصيات الأخرى فتكون مساعدة أو معارضة لها لم يعطيها الروائي الاهتمام الكافي، إنما تظهر في سياق اتصالها بمحمد بودية وهذه الشخصيات في معظمها شخصيات تاريخية ومنها:

-**محمود الهمشري:** معلم لغة عربية من فلسطين، عضو في منظمة التحرير الفلسطينية في باريس اغتيل بعد صديقه وائل زعيتر، في عملية غضب الرب ردا على عملية ميونخ أين اقتحم رجلان شقته وفخا الطاولة التي يوضع عليها هاتف المنزل.

-**شي غيفارا:** ثوري صديق الرئيس بن بلة الذي كلف بودية في مرافقة شي غيفارا في زيارته للجزائر، أين توطدت بينهما علاقة أساسها التيار الفكري الماركسي الثوري.

-**غولدا مائير:** رئيسة وزراء الحكومة الإسرائيلية أمرت بعملية تصفية للمشبوهين في تنفيذ عملية ميونخ وأطلقت عليها عملية غضب الرب.

-**سيلفيا رفائيل:** تجمعت الشخصيات المستعارة وأنماط التمويه والتخفي بأمر من الموساد، ومن بين المهام الموكلة لها الصحافة لجمع المعلومات الاستخباراتية عن المناضلين الفلسطينيين، وكانت ضمن الفريق المكلف باغتيال محمد بودية.

لقد ركزت الرواية على شخصية بودية كشخصية محورية تدور حولها كل الأحداث لذلك يمكننا إدراج الرواية في خانة ما أسماه الناقد محمد عبيد الله رواية الشخصية، لأن كل الأسماء التي عرضتها الرواية لم تفرد بالاهتمام المستقل والواسع، فظهرت متعلقة بالشخصية المترجم لها.

2.4 الميثاق الروائي:

يعد الميثاق المؤشر الرئيسي الذي يتم من خلاله تصنيف الجنس الأدبي وتحديد هويته، ويفترض وجود قواعد صريحة وثابتة ومعترف بها، لاتفاق مشترك بين المؤلفين والقراء بحضور الكاتب الشرعي الذي يتم التوقيع عنده على نفس العقد.¹⁷ فهذا الميثاق هو بمثابة عقد بين المؤلف والقارئ يشير إلى أن الشخصية واقعية وغياب هذا العقد سيضع المتلقي أمام إشكالية التجنيس ومدى واقعية النص.

والروائي سليم عبادو منذ البداية يصرح أن العمل الأدبي عبارة عن رواية وليس سيرة غيرية وهو ما يفتح آفاق التخيل، وقد جاء السرد في مواضع كثيرة بضمير الأنأ والكتابة بضمير المتكلم أسلوب يعري باطن الشخصية وخفاياها، ويتراق مع المونولوج، ليعبر عما يمر في داخلها ووعيا ويتجلى ذلك لحظة سقوط بودية كجثة هامة بعد انفجار سيارته التي زرع فيها الموساد الإسرائيلي لغما فيخاطب نفسه بإحساس قوي ومسبق بمصيره المحتوم "أفتح الباب، تقاجئني بروق وتضرب بطني لكلمات خفيفة بالكاد أدرك أنني أنهار، وأنا أنظر إلى الرجل ذي الشفتين المشدودتين شفاه لا ترتجفان، لا تضحكان بسخرية، هي فقط تقتلني وتسحقني من مخالب الكراهية".¹⁸

ولعل من سمات رواية السيرة الغيرية الكتابة بضمير الغائب "هو" والذي كان طاغيا في رواية قلب في أقصى اليسار وتظهر لغة السرد بهذا الضمير في قول السارد: "ينشغل بودية بأعماله المسرحية الثورية، وبمقالاته الصحفية المدافعة عن قناعاته الماركسية المنحازة للمفقيرين، والمناوئة لأصحاب الامتيازات في الدولة الوليدة وللاستعماريين الجدد الذين استماتوا في الدفاع عن الثقافة الكولونيالية الفرنسية إلى أبعد الحدود".¹⁹

وفي مقطع سردي آخر "أسس بودية صحيفة أطلق عليها اسم نوفمبر، تابعة لجهة التحرير الوطني وأصبح يكتب فيها مقالات صحفية عن الثقافة، والسياسة، والمسرح ويشرف على النشر فيها".²⁰

إن السرد بضمير الغائب يكشف عن الفجوة بين زمن السرد و زمن السارد، واستخدامه يتيح للكاتب أن يتقنع خلفه فيبث أفكاره وآراءه دون خجل أو مواربة...في هذه الحالة يتبدى لنا الراوي الذي يعرف كل شيء، أو كلي المعرفة يروي بضمير هو رغم غيابه فهو يروي من الداخل.²¹

3.4 الميثاق المرجعي:

يرتبط الميثاق المرجعي ارتباطا وثيقا بالسيرة فهو يحيل إلى ما هو خارج النص كما يقول فيليب لوجون: "تعتبر السيرة والسيرة الذاتية نصيين مرجعيين، إنهما يدعيان إلى الخطاب التاريخي والعلمي بالضبط للإدلاء بخبر حول واقع خارج عن النص، وبالتالي الخضوع إلى تجربة التحقيق".²² فهذا النوع من الميثاق مبني على إشارات خارج النص تدعم حقيقة ومصداقية ما ورد داخله، وإذا تتبعنا البعد المرجعي في الرواية سنجد الكثير من التوصيفات التي تحيل إلى سيرة الشهيد محمد بودية ومنها ما جاء على لسانه وهو يعرف بنفسه لايتيان في سجن فران: "-إذن أنت من العاصمة الجزائر؟

-نعم ولدت بحي باب الجديد بالقصبة وترعرعت هناك.

-وماذا كنت تعمل؟

-عملت منذ نعومة أظفاري، فبعدما توفي والدي اضطررت إلى امتحان تلميع الأحذية

صباحا بساحة الأوبرا، وبيع الجرائد مساء بالمكان نفسه الذي لم يكن بعيدا عن بيتنا.

-وماذا كان يعمل والدك؟

-كان رحمه الله خياطا بشارع لالير.

-عملت ببعض الوقت عند يهودي يبيع الأقمشة، وقد كان سببا في إيداعي الحبس

بالإصلاحية.

-ماذا وقع؟

-رفض أن يسلمني راتبي، خوفا من أن أترك العمل عنده إن فعل هو ذلك.

-وماذا فعلت أنت إزاء هذا الوضع؟

-أخذت مستحقاتي من صندوق المحل دون إذنه.

-فبلغ عنك الشرطة كما أحرز؟

-بالضبط.²³

ومن العلامات التي تحيل إلى البعد المرجعي مرافقة محمد بودية للمناضل شي غيفارا أيام الرئيس بن بلة في جولاته بالجزائر، وما جرى بينهما من حديث عن الحركات الاصطلاحية في الجزائر، التي أشاد بها وشجعه على الاستمرار في النضال والتغيير كمتقف ثائر، لا تقيدده حدود الزمان ولا المكان ولا الولاء للسلطة و للمناصب ولا يحيد عن مبادئه قيد أنملة "أحذرك يا رفيق بودية من الإحباط والإحساس بالخذلان فعالم الثورة هو عالم الأحرار والأفكار والمبادئ، عالم نظيف، أما عالم الدولة فهو عالم التموقع والمناصب، والامتيازات والمؤامرات.²⁴

ويستحضر النص السردى الأحداث السياسية الكبرى والتغيرات المفصلية في تاريخ الجزائر، كالانقلاب العسكري أو ما أطلق عليه التصحيح الثوري "وبعد أسابيع فقط يجلس بودية في صالون بيته مع والدته، متابعا على التلفاز إعلان العقيد هواري بومدين عن استلانه على الحكم، ووضع الرئيس بن بلة تحت الإقامة الجبرية باسم التصحيح الثوري رافعا هو أيضا شعارات الثورة من جديد ضد الامبريالية العالمية ومصطفا مع قضايا الشعوب المظلومة.²⁵

من مقتضيات هذا النوع الغيري الاعتماد على المصادر والمراجع لتأنيث النص السردى، ولإعادة بناء حياة الشخصية المترجم لها وهو أمر متوقع من كاتب رواية السيرة

الغيرية ذات الطابع التاريخي، ولقد أشار سليم عبادو في نهاية الرواية عن استدعائه لنصوص محمد بودية الأدبية والتي ترجمها من اللغة الفرنسية إلى العربية، ومنها هذا المقطع السردى الذي يشير إلى الالتزام الصارم الذي تبناه تجاه قضيته "أدافع عن القيم التي تنكرت لها فرنسا، ونشاطي هو تعبير عن التزام سياسي واع تجاه البربرية الكولونيالية الفرنسية ضد الشعب الجزائري، وعن التزام بتعيرية تناقضات هذا النظام الاستعماري الذي يمس في درجة قمعه حتى الفرنسيين أنفسهم."²⁶

ولأن المسرح والثورة لا يتعارضان فإن "الثورة الجزائرية كانت ومازالت من أعظم الثورات التي شهدتها العالم، لذلك عكفت مختلف الأجناس الأدبية على رصدها وتتبعها، فكان المسرح بالإضافة المميزة لها لأنه لا يكتفي بتصوير ونقل أحداثها حكيا فقط، بل تعداها للتجسيد الدرامي على خشبة."²⁷ ولأن الأيديولوجيا هي المسؤولة عن الأسس الفكرية والمسرح هو الميدان الخصب الذي يحمل في كيانه كل الأفكار التي تنبثق عن الأيديولوجيا.²⁸ فإن محمد بودية قد اختار المسرح كوسيلة من وسائل المقاومة والفعل الثوري وليبحث فيه توجهه الماركسي الثوري، فمارس المسرح من خلف القضبان ينشط عروضه المسرحية فالسجن عنده مكان آخر لاستعادة الإنسانية وتشكيل الوعي وشحن الهمم والعزائم، يتضح ذلك وهو في سجن فران أين كتب مسرحية الزيتون وأسس فرقة لتمثيلها داخل السجن على خشبة قاعة العرض بالكنسية، وقد استحضر الكاتب جزءا من هذا النص المسرحي في نصه الروائي .

ومسرحا آخر خارج السجن يتوازي والمرحلة الجديدة التي تعيشها الجزائر بعد الاستقلال، ولأن المسرح عنده هادف و ثوري وتحرري وشعبي، فقد قرر الخروج به من العاصمة إلى الأرياف فاقترح تسميته "القطار الثقافي ليجوب القرى البعيدة من أجل نشر ثقافة المسرح بها."²⁹

تؤكد المقاطع السردية التي عرضناها أن البعد المرجعي يرتبط ارتباطا وثيقا برواية السيرة الغيرية التي تركز على حياة المترجم له، وبالتالي سينفتح كاتبها تلقائيا على ما هو خارج النص لنسج نصه السردى، وقد نوع سليم عبادو الاقتباسات بين ما صرح به كنصوص محمد بودية الأدبية والتي جاءت في النص بين مزدوجين كإشارة إلى أن هذا النص مقتبس، وأخرى جاءت مخفية لم يعلن عنها ووردت مع مقاطعه السردية العادية التي هي من وحي خياله بطريقة فنية جمعت بين الواقعي والتمثيلي.

5. خاتمة:

بناء على ما تقدم توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

1- يستخدم النقاد مصطلح السيرة الروائية للدلالة على كتابة سردية مهجنة تنتج من خلال التقاء نوعين أدبيين هما السيرة والرواية، وعلى الرغم من أن لكل منهما خصوصيات ومرجعيات إلا أن عملية دمجها هي عملية تكامل بين الجنسين.

2- من خصائص رواية السيرة الغيرية أنها ترجمة لحياة الأعلام والمشاهير، وبالتالي يختار الروائي شخصية معروفة ويستعرض أهم الأحداث المفصلية التي عاشها صاحب السيرة.

3- تضعنا رواية قلب في أقصى اليسار أمام منجز سيرى غيري، يتعلق بشخصية جزائرية تاريخية جمعت في نضالها بين السلاح والقلم، ليبرز الروائي الجوانب الأدبية والثورية في شخصية بودية.

4- وضعت رواية قلب في أقصى اليسار على شخصية محمد بودية كشخصية مرجعية مركزية، مؤهلة لهذا المقام بوصفها نموذجا للصمود والمقاومة في قلب أوروبا.

5- من محددات رواية السيرة الغيرية الميثاق الروائي الذي تضبط من خلاله هوية النص، وقد أعلن الكاتب بأن مؤلفه رواية وليس سيرة وهو تصريح بالتمثيل.

6- من محادثات هذا النوع أيضا الميثاق المرجعي الذي يحيل إلى ما هو خارج النص، لأن الرواية تتسم بطابعها التاريخي الذي يفرض الاستناد إلى المصادر المتنوعة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1- الكتب:

1. سليم عبادو، قلب في أقصى اليسار، دار الأمير للنشر والتوزيع والترجمة، مارسيليا، ط1، 2024.
2. عبد الحميد المحايدين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.
3. عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، 1998.
4. عبد الله إبراهيم موسوعة السرد العربي، ج7، قنديل للطباعة والنشر، دبي، ط1، 2016.
5. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1976.
6. فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.
7. محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، مصر، ط3، دت.
8. محمد عبيد الله، رواية السيرة الغيرية قضايا الشكل و التناص وجدل التاريخي والتخييلي دراسة في رواية مي ليالي ايزيس كوبيا لواسيني الأعرج، دار كتارا للنشر، الدوحة، ط1، 2020.

2- الدوريات:

1. حامد أسماء، دحو محمد أمين، الفكر الأيديولوجي السياسي في المسرح الجزائري، مجلة النص، جامعة جيلالي اليابس، مستغانم، مج11، ع2، 2024.
2. شهبيناز حاج عزام، نادية موات، النسق الثوري وتمثلاته الثقافية في المسرح الجزائري المعاصر قراءة في مسرحية ثورة ليوسف ميله وهشام بوسهلة، مجلة النص، جامعة جيلالي اليابس، مستغانم، مج11، ع2، 2024، ص134.

السيرة الغيرية في رواية قلب في أقصى اليسار لسليم عبادو

3. عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، ع23، 2016.

الهوامش:

¹: عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، ع23، 2016، ص191.

²: فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص22.

³: المرجع نفسه، ص22-23.

⁴: محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص9.

⁵: المرجع نفسه، ص285.

⁶: محمد عبيد الله، رواية السيرة الغيرية قضايا الشكل و التناص وجدل التاريخي والتخييلي دراسة في رواية مي ليالي ايزيس كوبيا لواسيني الأعرج، دار كتارا للنشر، الدوحة، ط1، 2020، ص46.

⁷: عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، 1998، ص26.

⁸: عبد الله إبراهيم موسوعة السرد العربي، ج7، قنديل للطباعة والنشر، دبي، ط1، 2016، ص199.

⁹: المرجع نفسه، ص200.

¹⁰: محمد عبيد الله، رواية السيرة الغيرية، ص184.

¹¹: سليم عبادو، قلب في أقصى اليسار، دار الأمير للنشر والتوزيع والترجمة، مارسيليا، ط1، 2024، ص32.

¹²: المصدر نفسه، ص78.

¹³: المصدر نفسه، ص143-144.

¹⁴: المصدر نفسه، ص143.

¹⁵: المصدر نفسه، ص147.

¹⁶: المصدر نفسه، ص193.

¹⁷: فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص13.

¹⁸: سليم عبادو، قلب في أقصى اليسار، ص16.

- ¹⁹:المصدر نفسه، ص112.
- ²⁰:المصدر نفسه، ص92.
- ²¹:عبد الحميد المحايدين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمان منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص26.
- ²² : فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص52.
- ²³ : سليم عبادو، قلب في أقصى اليسار، ص29-30.
- ²⁴:المصدر نفسه، ص98.
- ²⁵:المصدر نفسه، ص113-114.
- ²⁶:المصدر نفسه، ص53.
- ²⁷:شهيناز حاج عزام، نادية موات، النسق الثوري وتمثلاته الثقافية في المسرح الجزائري المعاصر قراءة في مسرحية ثورة ليوسف ميلة وهشام بوسهلة، مجلة النص، جامعة جيلالي اليابس، مستغانم، مج11، ع2، 2024، ص134.
- ²⁸:حامد أسماء، دحو محمد أمين، الفكر الأيديولوجي السياسي في المسرح الجزائري، مجلة النص، جامعة جيلالي اليابس، مستغانم، مج11، ع2، 2024، ص166.
- ²⁹: سليم عبادو، قلب في أقصى اليسار، ص97.